مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر المجلد: 12 / العـدد:01 (مـاي 2024) ص 601– 617
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

تجليات الحكمة في شعر الطاهر العبيدي منظومة نصيحة الشباب المزيحة للسحب و الضباب أنموذجا

The manifestations of wisdom in the poetry of Taher Al-Obeidi, the advice for young people that remove clouds and fog , as an example

أحمد طيباوي[1]، تحت اشراف أ.د: عبدالقادر فيطس[2] Ahmed tibaoui, P. Abdelkader faitas
1 كلية الآداب جامعة عمار ثليجي الاغواط (الجزائر)، a.tibaoui.ar@lagh-univ.dz
منتسب لمخبر اللسانيات التقابلية و خصائص اللغات جامعة عمار ثليجي بالاغواط
2 كلية الآداب و اللغات جامعة زيان عاشور الجلفة aek.fts@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/04/18	تاريخ القبول: 2023/11/23	تاريخ النشر: 2024/05/16

الملخص: يعد فن الحكمة الذي يعني النصح و الوعظ و الإرشاد من أعظم فنون الشعر العربي التي عرفت تطورا كبيرا عبر مختلف العصور إما على شكل قصائد طويلة أو أبيات مستقلة، و قد عرف الشعر التعليمي في فن الحكمة منذ القديم خاصة بداية العهد المملوكي ، و كان الهدف منه تسهيل حفظ العلوم على المتعلمين ، و في الجزائر نظم الشعر التعليمي في عدة علوم على شكل منظومات منها : النحو ، الفقه ،علم الحديث ، العقيدة و التوحيد ، بالإضافة إلى الرياضيات ، الفلك ، التصوف ، الوعظ و الحكمة ، و من بين تلك المنظومات نجد منظومة الشيخ الطاهر العبيدي المسماة : نصيحة الشباب المزيحة للسحب و الضباب ، و التي كانت لها شهرة داخل الجزائر و خارجها، و استفاد منها الكثير من الطلاب و الشباب ،و سنحاول في هذا البحث التعرف أكثر على هذا المنظومة الجميلة و استكشاف مظاهر أصول الموعظة و الحكمة فيه.**الكلمات مفتاحية:** الحكمة ، النصح ، الوعظ ،المنظومات، الطاهر العبيدي، نصيحة، الشباب ، مظاهر، أصول

Abstract:The art of wisdom which means (advice, preaching and mentoring) is one of the most important arts of Arab poetry that has known great development through different ages, either in the form of long poems or independent verses in various purposes , and The educational poetry in The art of wisdom has been known since ancient times, especially from the Mamluk era, and the aim of this kind of poetry was to facilitate the memorization of sciences for the educated persons , and In Algeria ,the educational poetry was written into several sciences
in the form of poems; grammar, jurisprudence, hadith, creed and monotheism , in addition to mathematics, astronomy, mysticism, preaching and wisdom , and among these poems , we find the one of sheikh ; Tahar al-Obaidi , called: (The advice for young people that remove clouds and fog) which had a great reputation inside and outside Algeria , and it was printed in several countries and benifited many young people, especially students and in this report we will try to learn more about this beautiful peom we will try to explore the manifestations and the origins of wisdom in it.
Keywords: Wisdom, Advice, Preaching, , poems ,Taher Al Obaidi, Advice, Youth, manifestations , Origins.

المؤلف المرسل: أحمد طيباوي، **الإيميل**: ahmedttaibaoui@gmail.com

1.مقدمــة:

برز في القرن الماضي علماء أجلاء في الجزائر، و في منطقة وادي سوف، لعبوا أدوارا رائدة في حقل التوجيه الديني والإرشاد ونشر العلم والفضيلة و موضوع الشعر التعليمي، واشتهروا بغزارة علمهم في مختلف الميادين الفقهية واللغوية كتابة وتدريسا.

و قد نمت ظاهرة الشعر التعليمي مع اتساع الدول الإسلامية وثراء الثقافة ، و انتشرت معها الأراجيز التي تستجيب لهذا الغرض فقد نظم خالد بن معاوية الأموي(ت 85 هـ) أبياتا في علم الكيميــاء، و له عدة كتب ورسائل وله شعر كثير .

حتى إذا جاء القرن الثاني الهجري أصبحت ظاهرة المتون جلية فقد اتسعت المعارف وتنوعت الثقافات وازداد الإقبال على التعلم فاستعانوا بالمنظومات لأنها أقرب إلى طبيعتهم التي ألفت الشعر وأيسر في الحفظ و أكثر تشويقا.

و قد تتابعت المنظومات وتنوعت وازدادت أعدادها وشملت كل العلوم اللغوية من نحو وصرف وبلاغة وعروض بل نظمت مواضيعا في الفلك والحساب في عصر المماليك، فكانت ألفية ابن معط وابن مالك في النحو وغيرها كثير واستمر الحال على ذلك غي العصر العثماني إلى أن جاءت موجة الاستعمار الغربي ، والمتون المنظومة من أبرز مظاهر الثقافة السائدة وكان النمط التعليمي الشائع المتلائم مع الواقع المعاش في تلك الفترة التي تتسم بندرة الكتب وانتشار الفقر والزهد في الثقافة العربية ذلك أن النظم العلمي يختلف عن المتن العلمي المنثور فهو يتسم بالاختصار وإيجاز العبارة وبروز التلميح بدلا من التصريح وسهولة الحفظ .

ومنطقة سوف في القرون الأخيرة اتصفت بكل ما من شانه الدفع إلى طريقة ميسرة في التعليم فإلى جانب الحرب الممنهجة على الثقافة العربية الإسلامية في الحقبة الاستعمارية ، و انتشار الفقر فهي بعيدة عن الحواضر العلمية و أقربها جامع الزيتونة بتونس يبعد مئات الأميال ، و قد كان من أشهر علماء الجزائر و وادي سوف كتابة للمنظومات العلامة الطاهر العبيدي الذي اشتهر بتبحره في أصول الفقه المالكي و بشعره و أدبه ، و كان من أعظم منظوماته الحكيمة البديعة منظومته الشهيرة المسماة نصيحة الشباب المزيحة للسحب و الضباب و التي طرحت علينا تساؤلات الباحث لاستكشاف معالمها البليغة ، و استخراج تجليات و ظواهر الحكمة من جوانبها فما هي المنظومة الحكيمة ؟ و ما مظاهر الحكمة و أصولها فيها ؟ و إجابة عن هذه التساؤلات أخرجت هذه الدراسة الوجيزة التي لا توفي من حق هذه المنظومة ، حيث قسمت هذه الدراسة إلى جزئيين جزء مهدت به

للتكلم عن تعريف الحكمة و المواعظ و شخصية العلامة الطاهر بن العبيدي رحمه الله و منظومته ، و جزء آخر خصصته لدراسة أصول و ظواهر الحكمة في هذه المنظومة البديعة .

2 . التعريف بفن الحكمة و المواعظ :

2. 1 تعريف الحكمة لغة :

تعرف المعاجم اللغوية الحكمة تعريفا يربطها بكل ما يتصل بالمعرفة و التدقيق في كنه الأمور العارضة للإنسان، وهي وسيلة وغاية في نفس الوقت، يقول الخليل الفراهيدي في كتاب «العين»: حكم: الحِكمةُ: مَرْجِعُها إلى العَدْل والعِلْم والحِلْم و مصدر قولهم حَكَمَ أي صار حكيما **(الفراهيدي، صفحة 66 جزء3)**

يقول الجوهرى: الحكمة "المانعة من الجهالة" وقد عرفها الراغب الأصفهاني بأنها إصابة الحق بالعلم والعقل **(الاصفهاني، 1412 هـ، صفحة 126)**

ويقول الرازي في «معجم مقاييس اللغة»: «حكم- الحاء والكاف والميم- أصل واحد، وهو المنع. وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم. وسميت حكمة الدابة؛ لأنها تمنعها، يقال: حكمت الدابة وأحكمتها. ويقال: حكمت السفيه وأحكمته، إذا أخذت على يديه. قال جرير:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

والحكمة هذا قياسها، لأنها تمنع من الجهل» **(فارس، 1979م، صفحة 91 جزء02)**

و يعرف الجرجاني في «التعريفات» الحكمة فيقول: «الحكمة: تجيء على ثلاثة معانٍ: الأول: الإيجاد. والثاني: العلم. والثالث: الأفعال المثلثة، كالشمس والقمر وغيرهما، وقد فسر ابن عباس الحكمة في القرآن، بتعلم الحلال والحرام، وقيل: الحكمة في اللغة: العلم مع العمل، وقيل: الحكمة يستفاد منها ما هو الحق في نفس الأمر بحسب طاقة الإنسان، وقيل: كل كلام وافق الحق فهو حكمة، وقيل: الحكمة هي الكلام المقول المصون عن الحشو **(الجرجاني، 1983م، صفحة مادة حكم)**

2. 2 تعريف الحكمة اصطلاحا :

الحِكمَة في المصطلح، فهي: «كل ما يهدي إلى الخير في العقيدة والسلوك، فهو حكمة». الحكمة هي التي تهدي الإنسان من الظلمات إلى النور، والحِكمَة، هي التجربة الذاتيّة المكتسبة مِن فعلٍ أو رأي. ومن طبيعة الحِكمَة أنها تنتشر بين الآخرين للانتفاع بها، والحِكمَة تَنبذُ الرذائل وتَحُثُ على المكارم والمحاسن. قال تعالى: « يؤتِي الحِكمَةَ مَنْ يشاء» تنبيهاً على أن الله يُعطي الحِكمَة لمن يَستحقها ويضع كلَّ شيءٍ في مكانه، كما قال

عزَّوجلّ: «ولَقَد آتَينَا لُقمان الحِكمَة» ، ومما قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الحِكمَة: «خُذوا الحِكمَة ولومِنْ ألسنةِ المشرِكين» **(البوغبيش، صفحة www.diwanalarab.com)**

2. 3 تعريف الوعـظ لغة:

أما كلمة الوعظ فهو مصدر من قولهم وَعَظَ يَعِظُ من مادة (وع ظ) التي تدل على التخويف، والعظة الاسم منه فهو مستعمل فى: التذكير بالخير كما جمع مرتضى الزبيدى التعريفات العديدة للنحاة واللغويين ونقل عن ابن فارس بأنه قال: "الوعظ: هو التخويف والإنذار، وقال الخليل :هو التذكير فى الخير بما يرقق القلب . **(الزبيدي، 1414هـ، صفحة مادة وعظ)**

تعريف الوعظ اصطلاحا: "الوعظ هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب **(المناوى،1410هـ، ص: 728)**.

وعرفه الراغب الأصفهاني: "الوعظ زجر مقترن بتخويف." **(الاصفهاني، 1412 هـ، صفحة 527)**.

فالحكمة على هذا النحو تحتوي مفهوم و غرض الوعظ و النصيحة و الإرشاد ، و هي كل كلام موجه إلى الإنسان على سبيل الهداية أو الإرشاد و تقويم الاعوجاج، وذلك ضمن نطاق الحياة العملية والتصرف في حقلي الدين والدنيا، وقد جرت العادة في الأدب أن تكون الحكمة عبارة موجزة ذات مغزى أخلاقي، أي أن تكون مايسمونه جوامع الكلام وجوامع أقوال مرصوصة موجزة العبارة غنية المعنى سهلة الحفظ ، و التركيب فيها متماسك الأجزاء، مترابط الألفاظ، توحي فيها اللفظة باللفظة ، و يمكننا أن نلخص تعريف الحكمة في الشعر بأنها تلخيص الفكر العميق باللفظ الدقيق في دلالته على المعنى ، أو تضمين الأبيات القليلة معاني جليلة، وإن القائل للحكمة عادة ما يكون شخصا ذا خبرة في الحياة والتبصر بأحوالها وأنه ينطق بها في مناسبة من المناسبات أو في حادثة من الحوادث ويتعلق بها الناس ويتناقلون يوما بعد يوم، بل وقرنا بعد قرن من الزمن، ولذلك أصبحت جزء مهما وركنا أساسيا في أدبنا ولغتنا العربية .

و قد وردت كلمة الحكمة في القرآن الكريم في مواضيع متعددة يمكن ان نذكر منها الآيات الكريمة التالية :

قال تعالى: ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (سورة النَّحل: 125).

و قال سبحانه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة البقرة : 269).

* و قال ايضا جل جلاله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة البقرة : 129). و قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (سورة لقمان: 12)

3. مصادر الحكمة و المواعظ و أنواعها:

لقد استقت الحكم و المواعظ منذ العهد الجاهلي مادتها من ثلاثة مصادر أساسية هي الموروث الشعبي الثقافي من حكم وأمثال وأقوال مأثورة وحكايات وأساطير، والمؤثرات الأجنبية و التجارب الذاتية ، و قد تطورت هذه المصادر بعد دخول العهد الإسلامي خاصة مصدر الموروث الثقافي الذي أضيف عليه مادة ثرية من القرآن الكريم ومن الحديث النبوي الشريف ومن أقوال و خطب الصحابة والتابعين ومنظومات الشعراء ، و نستطيع أن نظم إلى هذا الموروث أقوال الوعاظ والنساك والزهاد لأثرها المباشر في إثراء الفكر و الوجدان الشعبي لمخاطبتها للمشاعر الدينية والروحية ومن ثم تأثيرها في تجارب المتلقين وأفكارهم .

تنقسم الحِكمَة إلى نوعين:«حكمة نظريّة» و« حكمة عمليّة»، وفيما يلي نأتي بما ورد من تعريفات لهاتين الحكمتين:

3. 1 الحكمة العمليّة : هي التَعرُّف إلى أفعال البشر الاختيارية، كيف وبأي طريقة يَتم التعرُّفُ إليها، الحسنة والمطلوبة منها، والرديئة المذمومة.

والحكمة العملية هي العلم بما يؤدي إلى إصلاح المعاش والمعاد والعمل به، ومعرفة الأمور التي لها مساس مباشر بالعمل كالطب والحساب والهندسة،و تتشعب الحِكمَة العملية، إلى الأخلاق، وتدبير المنزل، وسياسة المدن **(البوغبيش، صفحة www.diwanalarab.com)**

3. 2 الحكمة النظرية: وأما الحِكمَة النظرية، فهي العلم بحالات الأشياء كما هي أو كما سوف تكون، هذه الحِكمَة يكسبها الفرد عن طريق الفكر والدراسة والتحقيق، مثل معرفة حالات الأجسام ومعرفة النّجوم وأماكنها. والحِكمَة النظريّة، المقصود منها ما حصل بالنظر. الحِكمَة النظرية تَتحدثُ عن الوجود وما هوكائن، بينما تتحدث الحِكمَة العملية عما يجب وعما ينبغي. ومسائلها من نوع الجمل الخبرية .

(البوغبيش، صفحة www.diwanalarab.com)

وقال صاحب «موسوعة الأمثال»: الحِكمَة قسمان:

القسم الأول: الحِكَمُ القوليّة، وهي كُلها محمودة من حيث ذاتها، وأن تكون الحِكمَة في نفس الأمر.

القسم الثاني: «في الحكم الفعليّة بناءً على إطلاق الحِكمَة عليها كما مّر» **(البوغبيش، صفحة المرجع السابق)**

4. نبذة عن حياة الشيخ الطاهر العبيدي و منظومته نصيحة الشباب :

الشيخ الإمام سيدي الطاهر بن العبيدي الحسني العلامة الفقيه الشاعر من مواليد مدينة وادي سوف سنة 1304هـ / 1886م نشأ في مسقط رأسه و تعلم المبادئ الأولى فيها على الشيخ محمد العربي بن موسى و عبد الرحمن العمودي، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة بتونس فزاول دراسته على شيوخ الجامع المذكور كان من أبرزهم العلامة الجليل محمد الطاهر بن عاشور. **ينظر (قمعون، 2015م، الصفحات 6-7-8)**

حصل على إجازة بالمراسلة من العلامة الشهير في وقته محمد المكي بن عزوز ، و شهد له بالتبريز في العلم علماء أجلاء منهم العلامة محمد بن عبد الرحمن الديسي و العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي لقبه بلقب " زين العلماء ، و نذكر من المراسلات الذي ذكرها الدكتور أبوالقاسم سعد الله في كتابه القيم (تجارب في الأدب والرحلة) يحوي " وثيقتين متبادلتين بين الشيخين الاولى قصيد نظمها العبيدي في ابن باديس من اثنين وعشرين بيتا " مادحا له بالعلم والتقى .." والثانية رسالة ابن باديس للعبيدي وهي مكتوبة بقسنطينة سنة 1337هـ 1919 م " **(سعدالله، 1983م، الصفحات 99-105)**

يستهل الطاهر العبيدي في مدح الإمام ابن باديس قصيدته عند زيارته لتقرت فيقول:

بروحي جليلاً حلَّ بتقرتنا النضْرا يفوق شذا أخلاقه المسكَ والعطرا

فأمّا محيّاه المحيَّا فإن مـــن يُشبِّهه بالبدر مرتكبٌ أمـــرا

أفي البدر من أخلاقه وعلومه؟ وهل فيه تحريرُ التقارير والأقرا؟

(سعدالله، 1983م، الصفحات 102-103)

وقد أرسل عبد الحميد بن باديس رسالة الى صديقه ، جاء فيها:

"الى حضرة علم العلم والفضل ومعلم الكرم، والنبل النقي الطاهر الأثواب السري البارع الآداب، مستحق الشكر منا بما له علينا من سابق الايدي . العلامة الشيخ سيدي ابي الطيب الطاهر العبيدي أدامه الله بدرا طالعا في هالة درسه وغيثا هامعا يحيي ربع العلم من بعد طمسه ،حتى يبدل وحشه وقطره بأنسه ويجني من بساتين تلاميذه ثمرات غرسه . آمين **(سعدالله، 1983م، الصفحات 103-104-105)** .

تولى الشيخ الطاهر بن العبيدي الإمامة و التدريس في الجامع الأعظم بمدينة تقرت التابعة لولاية ورقلة منذ سنة 1904 إلى آخر عهده بالحياة.

انتمى منذ شبابه إلى الطريقة الرحمانية ، حيث كان له انتساب إلى زاوية سيدي سالم بوادي سوف عن طريق شيخها آنذاك سيدي محمد الصالح .

استفاد منه و درس عليه خلق كثير منهم أخوه الشيخ أحمد العبيدي و الشيخ الطاهر بن دومة و الشيخ عبد القادر المسعدي.

ترك العلامة الطاهر العبيدي العديد من المؤلفات و المنظومات المخطوطة في فقه الامام مالك و اللغة و النحو و الشعر. منظومة في التيمم. رسالة الستــر. رسالة في الميراث. رسالة السلاح والعدة في أحكام المعتدة. رسالة في كيفية العبادة. رسالة رفع اللهو في كشف مسائل السهو. رسالة رفع الإبهام عن مسائل الصيام. رسالة انكفاف الدمعة لانكشاف مسائل الجمعة. منظومة جريان المدد في الاعتصام برجال السند في 856 بيت ،رسالة التخويف والتخوف على منكر إيمان الصوفية والتصوف. رسالة الحج والعمرة وبيان كيفيتهما الشرعية ، رسالة في الجبر والاختيار والدليل عليهما ، و من مؤلفاته اللغوية : بغية الآمل في نظم رسالة العوامل ، رسالة تلخيص الأجرومية، منظومته الشهيرة في البلاغة المسماة رسالة القطب الدردير في البيان بأسهل بيان **ينظر (قمعون، 2015م، الصفحات 44–58)**، و قد تم طبع القليل من هذه المخطوطات ومن بين أشهر مؤلفات العبيدي الفقهية منظومة" رسالة ستر العورة "، و التي طبعها و حققها و علق عليها الدكتور محمد محدة ، و نشرتها دار البعث بقسنطينة سنة 1405ه/1985 م ، و قد قرضها الشيخ العلامة عبدالحميد بن باديس بقوله:

(بسم الله الرحمن الرحيم .وصلى الله على سيدنا محمد و آله وصحبه وسلم وبعد

فإني بعدما سمعت هذه المنظومة من مؤلفها العالم العلامة الشيخ سيدي الطاهر العبيدي قلت هذه الأبيات ، خدمة للعلم وإشادة بفضل هذا الرجل العظيم . ومنظومته المزينة بالدر النظيم على حسب ما سمح به الخاطر الكليل القاصر:

ذي درر حسنة التنضيد سالمة من وصمة التعقيد

جامعة للقصد والمزيد تدني الجنا لكل مستفيد

(سعدالله، 1983م، صفحة 56)

و من أشهر ما ترك العلامة الطاهر العبيدي منظومته المسماة نصيحة الشباب المزيلة للسحب و الضباب و التي هي موضوع دراستنا، و هي منظومة في فن الحكمة و النصيحة و الوعظ للشباب و تحوي اكثر من 170 بيت ، و كان اول من اشرف على طباعتها تلميذ الشيخ العبيدي الأستاذ مسعود الطويل بمصر سنة 1954 مضيفا إليها منظومة النصيحة العزوزية . **(العبيدي، 1954م، صفحة 14 الى 23)**،

و بعده قام بشرحها الشيخ عبد العزيز سيد عمر من الزاوية المهدية بادرار بالجزائر في كتاب اسماه: فتوحات العلي الوهاب على المنظومة المسماة بنصيحة الشباب .

5. مظاهر الحكمة في منظومة نصيحة الشباب :

كل ما أعطاه الله الحكمة بسبب المدارسة ، و الخبرة كان ناصحا ، و لهذا ظهر الطاهر العبيدي في منظومته حكيما ناصحا مشفقا على الشباب هذا العصر الذي سقط في أوحال الرذائل و المشابهة للنصارى ، و قد برزت الحكمة و النصائح في منظومة العبيدي في ثلاثة مظاهر رئيسية هي المظهر الديني و الاجتماعي و اللغوي .

نذكر هنا من أوضح المظاهر الدينية تقديم النصيحة للشباب بضرورة تطبيق أحاديث النبي عليه أفضل الصلاة و السلام و طاعة الحكم يقول في ذلك **(العبيدي، 1954م، صفحة 14)**:

فنصـــــحنا لله أن نوحده و لرسول الله ان نـــــؤيده

و النصح للامير ان لا تخرجا عن أمره إذا أقام المنهجا

و لهذا فان طاعة الحاكم المسلم و إن اخطأ فيها اجر عن الصبر و التحمل، و الفتنة كل الفتنة في الخروج عليه ، و لنا ان نأخذ هنا في تجارب اخواننا في بلدان سوريا و اليمن و ليبيا العبرة من نتائج الخروج عن الحاكم ، حيث حدثت في بلدانهم الاعاجيب و سفكت الدماء بغير وجه حق، وذاقوا ويلات الحروب و المجاعة و التشرد و الهجرة و عدم الاستقرار الى يوم الناس هذا .

و يبين العبيدي أيضا أهمية المعرفة الشباب للسيرة النبوية لتعلم الدين الذي هو أساس الارتقاء و قيمة العلم و وضاعة الجهل حيث قال:

عـــــار على الشباب أن نراه في دينه يمشـــى إلى وراه

كيف تكون جـــــاهلا بالله و سيرة الهادي رسول الله

فإنما الـــــدين أساس الارتقا و من يرقق دينه فما ارتقى

و الدين جسم روحه بالعلم كالروح في قالب هذا الجسم

(العبيدي، 1954م، صفحة 14)

و بين العبيدي في هذا البيت أهمية تعلم الدين الإسلامي ، فهو بمثابة الروح لأجسامهم، و هو أساس التقدم و الرقي الحقيقي، و قد صدق العبيدي في هذا ، و كذب فكر الشباب المهوس بالحضارة الغربية التي تسوق الرقي و الازدهار على أساس الانسلاخ من الدين و السقوط في مستنقع الانحلال الخلقي و الإباحية .

ثم يقول :

فالعالم النـــحرير يســـعى نوره بين يديه كـــــاملا شعوره

و الجاهل المسكين كالأنعام أو كالنعام عن هداه عامي

فالعار يا شـباب أن لا نرفعا راسك للعـــــلم لكي ترتفعا

(العبيدي، 1954م، صفحة 15)

و لا ينسى العبيدي بعد ذلك أن يحض الشباب على أداء الصلاة فيقول :

عار عليك يا شباب أن تكون من الذين للصلاة يتركون

فانما الصـــــلاة رأس الدين و الدين رأس الملك و التمدين

(العبيدي، 1954م، صفحة 15)

و يقول أيضا :

و في الحديث أن ترك الصلوات كفر فما أعظمها من حسرات

فاحرص على أركانها و طهرها و وقتها و لتحترز من نقرها

فإنـــــها من سمة الإيمان و تركها من سمة الكفران

(العبيدي، 1954م، صفحة 19)

و من المظاهر الاجتماعية للحكمة في منظومة العبيدي حديثه عن مشابهة الشباب للغرب في اللباس و الشكل و عدم التزامهم باللباس العربي الإسلامي و نهيه عن ذلك ، ونصيحته و دعوته للشباب للتميز عن الكفار و عدم التشبه بهم و لو بالتهنئة لهم في أعيادهم على قصد تعظيم دينهم قال في ذلك رحمه الله :

عار و حط يا عـــزيز النفس أن لا تكون في لباس الجنس

أتـــرتقي تشبها بالفـــجرة و تستحي من زى قـــوم بررة

فلتتشبه بالـــــكرام الأتـــقياء و لتجتنـب أزياء قوم اشقيا

فالزي إن كان يخص الكافرين فردة تلقيك في الكفر المـهين

(العبيدي، 1954م، صفحة 15)

و قال أيضا :

من قال للذمـــي يوم عيده عيد مبارك فسل عن قصده

إن كان تعظيما لعيدهم كفر أفتى به عليش الحبر الابر

و في الحديث من أحب قوما يحشر معهم أي هنا و ثما

(العبيدي، 1954م، صفحة 16)

و نهى عن التشبه بهم في الشكل من المظهر كحلق الشعر ، و اللحية و اللباس و غير ذلك فقال في ذلك :

فالفرق بين هذه الأجناس بالدين و الأعياد و اللباس
فما لهؤلاء عشاق الرقى تشبهوا في اللبس و التخلق
يا حالقا شعره مهما التحى و خارطا للعارضين و اللحى
ان رسول الله قال احفوا شواربا و للحى فأعـــفـــوا

(العبيدي، 1954م، صفحة 16)

و قد أكد العبيدي هنا على ما قرره من قبل في أن أساس الارتقاء بتعلم الدين الإسلامي و التمسك به ، و ليس بمتابعة الكفار و تقليدهم و التشبه بهم في اللباس، و ما زال هذا الامر موجودا في مجتمعاتنا المسلمة لحد الساعة دالا على وجود عقدة النقص و فقدان الثقة في نفوسنا ،و مثبتا لعبارة ابن خلدون رحمه الله التي قال فيها : المغلوب مولع بإتباع الغالب فمتى يا ترى نصير غالبين ؟

و تحدث العبيدي عن المعازف و الفساد الأخلاقي و عن حلول عقوبة الخسف بالفاسدين في أخر الزمان و دعا الله السلامة و ذكر أن الدين صار غريبا حيث قال:

يا ربنا نســألك السلامة في الدين و الدنيا إلى القيامه
فالـــدين صار غاربا غريبا و الكفر طـــار مقبلا قريبا
والله ما كانت عوايد السلف كما نرى عـــوائر الخلف
يا رب لا تزغ قلوب المؤمنين بعد هداهم و احـــفظهم أجمعين

(العبيدي، 1954م، صفحة 19)

و أشار العبيدي إلى أهمية القران الكريم و الحديث النبوي الشريف في الدرس و التطبيق بالنسبة للشباب قال في ذلك :

و إن أردت الدين و التاريـــخا للذكر و السنـــة كن مصيـــخا
إذ بهما تدر القديم و الحديث بل كل شيء في القران و الحديث

(العبيدي، 1954م، صفحة 19)

و نهى العبيدي عن شرب الدخان و ذكر مضاره الصحية و المالية بعد أن كرهه الفقهاء في عصره و لم يرو تحريمه فقال رحمه الله :

يا راضعا أبـــــازم الدخان مبذر الأموال في الخسران

إن الدخان منتــن و سرف و ضرر في الجسم يا مثقف

تجذب النيران إليك موقده ترشفها في عمـــــد ممدة

فتأكل الهوى إتباعا للهوى و مالا به من تغذية و لا دوا

سوى أذى الصاحب و المصافح و جسمك الأبهى بنتن راشح

إن لم يـــكن في شربه تخدير ففـــــيه في أموالنا تبذير

و إن في إضـــاعة الأموال إضـــاعة النفوس و الآمال

(العبيدي، 1954م، صفحة 17)

و لم تقف حكم العبيدي رحمه الله عن الكلام عن صحة الإنسان و مقاصد الإسلام المتمثلة في :حفظ الدين و النفس و المال و النسب و العقل و العرف بل تكلم و توسع عنها إلى الاهتمام بحفظ حقوق الحيوان ، و رعايتهم و الرحمة بالفقير و الجائع حيث قال في ذلك :

و كـــن بكل فـــــقير رحيما و لو تراه و سخا أديما

فإن الفقـــــير ضيف الله فأعطه ما يشتهي الله

و ارحم صديقا و عدوا و دواب يرحمك الرحمان في يوم الحساب

(العبيدي، 1954م، صفحة 20)

و نهى العبيدي عن العادات الغربية الفاسدة التي تشبه بها المسلمين كعادة اختلاط الرجال بالنساء في الاحتفالات و التصفير و كشف الأفخاذ قال في ذلك :

و أقـبح العوايد التدخين و كـلبة بـــجنبه تشين

كذا الصفير و اختلاط في احتفال و كشف أفخاذ و تصفيق الرجال

(العبيدي، 1954م، صفحة 21)

و قد برز في منظومة العبيدي مظهر أخر للحكمة و نصائحه افرده للحديث عن اللغة العربية حيث نصح العبيدي الشباب بالحفاظ على لغة القران الكريم و الابتعاد عن رطانة الأعاجم و التكلم باللغات الأجنبية التي أفقدت الشباب اصالتهم العربية و تميزهم قال في ذلك رحمه الله :

يا هاجـــرا للغة القران و لغة الهادي إلى الديان

مـــقدما رطانة الأعجام كـأنه علج من الاروام

هــجر لغات العرب ممن يدر عار و خفض لرفيع القدر
فالعـــربي زينـــته العمامة و شعـــر الوجه له علامة
مـــــع لغـــة لجنسه كأنها شهد إذا ناجى و ما أكنها

(العبيدي، 1954م، الصفحات 17–18)

ثم يفضل العبيدي جنس العرب عن الأجناس الأخرى ناصحا الشباب بأدلته و براهينه فيقول:

و اعلم بان أفـــــضل الأجناس العربي من جمـــــيع الناس
من اجل ذا يكفر من سب العرب و إن أراد الظـــالمين فالأدب
و في الحديث ان حـــــب العرب دين و إيمان فحبب و أحبب
إذ منـــــــهم رسولنا و البرره أصحابه و الخلفا و العشـــرة
و أحبب رسول الله جدا و العرب و أحبب جميع المؤمنين كالنسب

(العبيدي، 1954م، صفحة 18)

و يحض العبيدي الشباب على تعلم اللغة العربية و النحو العربي لأهميته في معرفة الدين الإسلامي فيقول رحمة الله عليه :

و اجتهدن عمرك في درس اللغة فهي لفـــهم ديننا مبلغة
فـــكل من قد جهل الاعرابا في دينه قد أخطأ الصوابا
حيـــث النبي و الكتاب العربي و خاتم الوحي لسان العرب

(العبيدي، 1954م، الصفحات 19–20)

و الظاهر أن العبيدي صور في هذه الأبيات السابقة ما عاشه و لمسه في مجتمعنا الجزائري من احتفاء بالغرب و وولوع لتعلم لغاته و هجران للغة القرآن الكريم، و الذي عاشه العبيدي ما زال واقعا للأسف لوقتنا الحالي بل زاد و اشتد و جاوز الحزام الطبيين ، و وصل الأمر إلى حد المطالبة باستبدال لغتنا العربية الفصحى باللهجات العامية في التدريس ، و تم سماع أصوات مريضة ناعقة تصف العربية بأنها لغة اجنبية وافدة على البلاد و تجعل من العرب غزاة نشروا لغتهم بحد السيف و الإكراه ، و هذا و الله هو نقص الإيمان الذي أشار إليه العبيدي و حذر منه .

فحب العربية و العرب دين و إيمان ، و ليس هذا من التعصب في شيئ، و إنما هو عين ما قرره نبي الرحمة سيدنا محمد صلى الله عليه و اله و سلم إكراما منه للغة القرآن الكريم ، وجمعا منه و توحيدا لكلمة المسلمين ، و درءا منه و قطعا لجذور الفتنة و العنصرية و التشرذم .

حيث اخرج الحاكم في مستدركه ضمن كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم عن سلمان الفارسي – رضي الله عنه – انه قال : قال لي رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – : " يا سلمان ، لا تبغضني فتفارق دينك " ، فقلت : يا رسول الله وكيف أبغضك وبك هداني الله – عز وجل–؟ قال : " تبغض العرب فتبغضني"

و اخرج أيضا عن أنس رضي الله عنه – انه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم " : – حب العرب إيمان وبغضهم نفاق . ". **(الاصفهاني ا.، 2002، الصفحات ص 96–97)**

6. أصول الحكمة في منظومة الطاهر العبيدي :

ترتبط الحكمة بالأدب ارتباطا كبيرا و خاصة عند الشعراء حيث تشكل أساس الأدب من خلال أنها تشكل خبراتهم المكتسبة و ملاحظاتهم العميقة للحياة و الأشياء و تجاربهم و علمهم و أرائهم الصائبة ،و قد كان الجاهليون يرون أن الحكمة هي الحكايات و الأمثلة التي تعلم و تعظ الإنسان تقال ليتعظ الشخص بها طوال حياته و ليسير وفق الهدى هذه الحكم .

و مما لاشك فيه أن هناك مصادر و أصولا للحكمة فردية أو جماعية ، فالأمم و الملل تتأثر بأسلافها و قدمائها ، و تتوارث العقائد و العادات و الطقوس ، و منها تلك المواريث الحكم و الأمثال و الأقوال المأثورة و محصول التجارب الفعلية و حتى الاكتسابية من الأمم الأخرى .

و يمكنا أن نقسم هذه المصادر إلى أقسام منها: 1– التأثيرات الأجنبية التي توسعت خلال الفتوحات الإسلامية و امتزاج الثقافة العربية بالثقافات الفارسية و الهندية و اليونانية مع بداية الترجمة لكتب الفلسفة اليونانية و علوم الحكمة

2–الموروث الشعبي الثقافي المتمثل في الحكم و الأمثال و الحكايات و الأساطير و العادات و التقاليد **(عريس، 1994م، صفحة 14)**حيث يتميز الشعراء الجاهليون بظاهرة الاقتباس من هذا الموروث ، و قد تطور أيضا الموروث الشعبي الثقافي في العهد الإسلامي بدخول روافد جديدة له متمثلة في مصادر العقيدة و الشريعة الإسلامية و أبرزها القران الكريم و الأحاديث النبوية التي كانت مناهلا كبيرة أثرت الحكمة ثراء بعد ثراء فالإسلام دين عقلي يحث على استعمال العقل و على التفكير و التدبر.

(عريس، 1994م، صفحة 137)

و القسم الأخير من مصادر الحكمة هو 3- التجارب الذاتية و التي كانت في العهد الجاهلي هي المنهل الرئيسي للحكمة و هي تجارب تعتمد على الواقع المعاش و الملاحظات الدقيقة له .

(عريس، 1994م، صفحة 32)

لقد كان الطاهر العبيدي فقيها ومتحكما في اللغة العربية و النحو و لهذا اظهر ذلك في منظومته و نصائحه الحكيمة التي اقتبس الكثير منها من القران الكريم و الأحاديث النبوية و حتى التجارب الذاتية الشخصية، و يمكننا على ندلل على ذلك بهذا الجدول التوضيحي لبعض من هذه الاقتباسات في تلك المصادر:

البيت الشعري الذي يحوي الحكمة و النصيحة	طبيعة المصدر و محتواه
أعظمها فريضة النصيحة قد وردت أخبارها صحيحة و الدين جسم و روحه بالعلم كالروح في قالب هذا الجسم.	الحديث النبوي قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لِمَنْ؟ قالَ: لِلَّهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ. صحيح مسلم
فالعالم النحرير يسعى نوره بين يديه كاملا شعوره والجاهل المسكين كالأنعام أو كالنعام عن هداه عامي.	القران الكريم قال الله تعالى :(أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) الاية 44 سورة الفرقان
فإنما الصلاة رأس الدين و الدين رأس الملك و التمدين	الحديث النبوي قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله) الأربعين النووية
أترتقي تشبها بالفجرة و تستحي من زى قوم بزره	الحديث النبوي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (غَيِّرُوا الشَّيْبَ ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى) رواه أحمد (7492)
يا راضعا أبازم الدخان مبذر الأموال في الخسران إن الدخان منتن و سرف و ضرر في الجسم يا مثقف تجذب النيران إليك موقده ترشفها في عمد ممدة إن لم يكن في شربه تخدير ففيه في أموالنا تبذير و إن في إضاعة الأموال إضاعة النفوس و الآمال	التجربة الذاتية : التدخين ضياع للمال ، ولقد حذر الله تعالى من الإسراف والتبذير فقال سبحانه : { وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } سورة الأنعام141 العلم و الطب: اثبت علميا ان التدخين يساهم في قتل نفس المدخن وإصابتها بالأمراض الخطيرة المستعصية كأمراض القلب وتصلب الشرايين والسرطان والذبحة الصدرية والسعال. القران الكريم قال الله تعالى : (إنها عليهم مؤصدة في عمد

	ممددة) سورة الهمزة اية8-9
اذ صلاة صحة وبركات تنهى عن الفحشاء و منكرات	القران الكريم : يقول الله عز وجل : (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) سورة العنكبوت اية 45
من يتق الله فربي يجعل إليه مخرجا برزق و يسهل	القران الكريم: قال الله تعالى: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: 2- 3]
وانظر إلى الأعجام كيف تحترم عظيمها لفظا و تصويرا رسم	مؤثرات أجنبية : هذا موجود عند العجم اذ يقدرون عظمائهم و يرسمونهم في لوحات فنية، و ينحتون لهم التماثيل تخليدا لذكرهم
و ارحم صديقا و عدوا و دواب يرحمك الرحمان في يوم الحساب	الحديث النبوي: (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) رواه الترمذي

و الملفت للانتباه في هذا الجدول التوضيحي غلبة مصدري القرآن الكريم و الحديث الشريف على مصدري التجارب الذاتية و التأثير الأجنبي في بناء النصائح الحكيمة عند العبيدي مما يبرز الأثر الديني في شخصيته رحمه الله ، و انه يستلهم أكثر ما يستلهم نصائحه و حكمه من معين الدين الإسلامي ممثلا في السنة النبوية الشريفة و القرآن الكريم ، و اكرم به من معين رقراق فياض لا ينضب ابدا.

و قد حض العبيدي الشباب على التمسك بالدين و جعله أساس رقيهم و تقدمهم ، و روح أجسامهم اذ الدين هو رأس الملك و التمدين ، و يتفق العبيدي هنا مع المفكر الإسلامي مالك بن نبي رحمه الله الذي اثبت أن الدين وحده هو المركب الحقيقي للقيم الحضارية، وهو يعطي شرارة الانطلاق لتدخل الحضارة في التاريخ، وتتحقق في عالم الإنجاز.

بدليل أن القرآن الكريم يعرض الدين ليس على أنه تشريع فقط؛ بل على أنه سُنة موضوعية من سنن الوجود، وقانون داخل في صميم تركيب الإنسان وفطرته، بل هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا يمكن تبديلها ولا يمكن أن تنتزع من الإنسان لأنها جزء من أجزائه التي تقومه،فالدين ليس مقولة حضارية مكتسبة يمكن إعطاؤها ويمكن الاستغناء عنها، فهو لا يمكن أن ينفك عن خلق الله ما دام الإنسان إنساناً ، فالدين يعتبر سُنة لهذا الإنسان . **(لحسن، 2015، صفحة 126)**

7. الخاتـــمة :

لقد كانت منظومة الطاهر العبيدي المسماة نصيحة الشباب ، و التي استكشفناها من خلال هذه الدراسة الوجيزة التي لم توفي حقها منظومة مليئة بالنصائح و الحكم البليغة التي لو نفذها شبابنا لنالوا كل علياء في حياتهم و لضربوا بحظ وافر في دنياهم و اخراهم ، و قد جمع فيها شيخنا الطاهر العبيدي كل المحاسن و الفضائل ، و نهى فيها عن كل الرذائل ،اعتمد فيها على ما يحمله عقله من مخزون تراثي و قرآني و نبوي و على تجاربه الذاتية في الحياة ، و هذه المنظومة جديرة ان تحفظ في الصدور ، و ان يعمل بها من كل طلاب العلم خاصة في ميادين العلوم اللغوية والانسانية و الاجتماعية لانها في نهاية الامر مصابيح تنير لهم طريق العلم و الحياة و تضمن لهم تميزهم كامة مسلمة عربية اللسان و طاهرة اللسان و الجنان و راحمة للانسان و حتى الحيوان و لهذا قال الله تعالى في محكم تنزيله عنها : **(كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر)** آل عمران 110 ، و هذا هو الشرف العظيم في النصح و تبليغ المحبة و الرحمة و الخير و الطيبات و النهي عن السفاسف و عن كل ما يضر الجسم و العقل و الروح .

قائمة المراجع و المصادر :

- القران الكريم
- أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب و الرحلة،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ط 1983
- الأصفهاني، الحاكم ، المستدرك على الصحيحين تحق مصطفى عبدالقادر عطا ،دار الكتب العلمية بيروت ط 2 سنة 2002 الجزء 04 .
- بدران بن لحسن . الدور الحضاري للدين دراسة تحليلية لمنهج الفكرة الدينية المركبة عند مالك بن نبي. مقال في مجلة جيل للدراسات الأدبية و الفكرية. الجزائر ط جانفي 2015 .
- الخليل بن احمد الفراهيدي معجم العين ط: دار ومكتبة الهلال . جزء 3 .
- الراغب، الحسين بن محمد الأصفهاني، المفردات، دار القلم، دمشق، ط 1412 - هـ
- الزبيدى، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسنى، تاج العروس من جواهر القاموس دار الفكر – بيروت الطبعة: الأولى /1414 هـ
- الشريف الجرجاني، التعريفات دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ط1 1403هـ –1983م

- الطاهر العبيدي النصيحة العزوزية و نصيحة الشباب المزيلة للسحب و الضباب ، مطبعة حجازي مصر ط1 1954 .
- عاشوري قمعون ،اشهر علماء سوف في القرن العشرين العلامة الصوفي الشيخ الطاهر العبيدي و جهوده العلمية و الإصلاحية ،جمعية الطاهر العبيدي للعلم و الثقافة .تقرت ط 1، اكتوبر 2015.
- محمد عريس ،الحكمة في الشعر العربي في الجاهلية و الإسلام ،المركز الثقافي في الشرق ، مكتبة الإسراء،ط2 1994
- المناوى عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، محمد رضوان الدابة، بيروت:الطبعة الأولى،دار الفكر المعاصر،1410هـ .
- عواطف البوغبيش ، الحكمة و مصادرها في العصر العباسي، مقال منشور في مجلة ديوان الأدب الالكترونية الموقع :www.diwanalarab.com
- الموسوعة الحديثية https://dorar.net/hadith